منزلة العربية الفصحى بين الألسنة قديما وحديثا

دراسة وصفية آنية

الدكتور

يحيى المتعلق باللّه الهاشمي

أستاذ لسانيات تطبيقية مشارك في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية - جامعة القصيم

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص

منزلة العربية الفصحى بين الألسنة قديما وحديثا دراسة وصفية آنية

يتناول هذا البحث موضوع الفصحى بين التحدي والتصدي ، متخذا منهج الوصف التاريخي التطوري سبيلا للعرض والتحليل ؛حيث عنى البحث بتطور اللغة وصيرورتها في علاقتها بالزمن (الماضي والحاضر والمستقبل) ، يقوم المنهج الوصفي على ملاحظة المعطيات الواقعية الآنية في علاقة اللغة بذاتها ومحيطها.

وهذه الثنائية في المنهج اقتضتها ثنائيات تنتظم مجال البحث وهي:

١ – ثنائية اللغة واللسان، في مستوى التوطئة

٢ – ثنائية المقومات والتحديات

٣ – ثنائية الحصار والانتصار في مستوى الآفاق

٤ – ثنائية توفر أسباب البقاء والازدهار، في مواجهة عوامل الهدم والاندثار

٥ – والعربية في كل ذلك بين ثنائيات التعطيل والتفعيل، والتوهين والتمكين، والتفنيد والتأييد

وقد استعرض البحث هذه الثنائيات من خلال الوقوف على محطات لغوية وحضارية معبرة

ومن هذه المحطات :

مقومات الفصحى الذاتية والموضوعية، كالامتداد في الزمان والمكان، والاتساع، والاشتقاق بأنواعه، والمرونة والبيان، والمناسبة بين المباني والمعاني، وتوفر مستويات الخطاب : العادي والبليغ والمعجز...

وكذلك التحديات التي تواجه الفصحى وفي مقدمتها اللهجات العامية في الوطن العربي ولغة المستعمر التي نتسابق الى تعلمها واستعمالها عوضا عن لغتنا المشتركة الفصحى

كما تضمن البحث متابعة مسيرة الفصحى في أروقة الأمم المتحدة من الحصار إلى الاحتفاء والانتصار ، وقد تخلل ذلك نصوص موثقة ورسوم بيانية وجداول توضيحية، وأخيرا آفاق واقتراحات علمية عملية .

الدكتور
يحيى المتعلق بالله الهاشمي

Abstract

The classical Arabic language between the tongues of ancient times and modern descriptive study

This research deals with the classical issue of challenge and confrontation, taking the historical descriptive approach to presentation and analysis. The research is concerned with the development of the language and its evolution in relation to time (past, present and future). The descriptive approach is to observe real-time data in the language relationship itself and its surroundings.

This dualism in the curriculum is necessitated by two binoculars that are organized in the field of research:

1- **bilingualism and language, at the level of settlement**
2- **Bilateral siege and victory in the level of prospects**
3- **Bilateral survival and prosperity, in the face of the factors of demolition and extinction**
4- **The Arabic in all this between the duality of deactivation and activation, attenuation and empowerment, and refutation and support**

The research reviewed these binaries by standing on linguistic stations and expressive civilization

These stations include:

The elements of the physical and subjective validity, such as the extension in time and space, the breadth, the different types, the flexibility and the statement, and the appropriate between the buildings and the meanings.

As well as the challenges facing the classical, especially the colloquial dialects in the Arab world and the language of the colonizer, which we are racing to learn and use instead of our common language

The research also included the follow-up of the march of the classical in the corridors of the United Nations from the siege to the celebration and the victory. This was accompanied by documented texts, graphs and explanatory tables, and finally scientific perspectives and suggestions.

Dr.

Yahya related to God Hashemi

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه الكريم

يتألف البحث من:

- توطئة
- القسم الأول: المقومات
- القسم الثاني: التحديات
- القسم الثالث: الآفاق
- نتائج وتوصيات

توطئة

اللغة : تعريفها ـ مكانتها في تشكيل المعرفة والإدراك

يعرف أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) اللغة بأنها : مجموعة «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» [(١)] .

وقد تنبه أولو الألباب لمكانة اللغة في حياة البشر المادية والمعنوية، فهي أداة التعامل بين الناس، كما أنها آلة التصور والإدراك، ووسيلة الحكم على الأشياء، وقد قسم الأوائل مراتب إدراكنا لأنفسنا ولمحيطنا بأربع مراتب، وهي مرتبة وجود الشيء في الطبيعة، ومرتبة وجود صورة الشيء في الأذهان، ومرتبة التعبير عنه باللسان، ومرتبة وجوده في الكتابة بالبنان، وتشغل اللغة المراتب الثلاث الأخيرة، فباللغة نفكر ، وبها نعبر، وبها نسطر معارفنا وإدراكنا لأنفسنا وللأشياء وللعالم من حولنا، وباللغة نقدر الأمور ونحكم عليها بالاستحسان أو الاستهجان، بالصواب أو بالخطأ.

وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد المكانة السامية لعلم اللغة منذ بداية الإنسانية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي – الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ج١، ص ٣١ ،ما زال هذا التعريف على إيجازه وفيا للمفهوم الأساسي لظاهرة اللغة البشرية ولكنه شهد توسعا في الدلالة حديثا حيث أصدرت منظمة الامم المتحدة(٢٠٠٥م) بيانا تؤكد فيه " أن اللغة ليست فقط أداة للاتصال واكتساب المعرفة، بلهي أيضا مظهر أساسي للهوية الثقافية ووسيلة لتعزيزها سواء بالنسبة الى الفرد أو الى الجماعة "

فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١) ، وجعل اللغة واختلاف الألسنة آية من آياته تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (٢) ، فهي بالإضافة إلى كونها آية من آياته وسيلة للعلم والسيادة والخلافة.

وإذا كانت ظاهرة اللغة مشتركة بين البشر وآية من آياته فإن هذه الظاهرة تنحل إلى ألسنة قومية تشترك مع غيرها من الألسنة في الكليات اللغوية كتجريد الواقع إلى رموز، وخطية الملفوظ في الزمان، وخطية المكتوب في المكان، والتقطيع المزدوج، والاقتصاد في كلفة التعبير والتواصل، بينما ينفرد كل لسان بسمات وخصائص هي التي تجعل منه لسانا متميزا عن غيره من الألسنة: اللسان العربي، اللسان الفارسي، اللسان الرومي (ومع الزمن تنحل الألسنة إلى لهجات..).

وموضوع حديثنا هنا هو وصف اللسان العربي الفصيح، فقد اختاره الله عز وجل لسانا لكتابه العزيز، ووعاء لشريعته الخاتمة، لسان محمد صلى الله عليه وسلم، و قد نص على ذلك في غير ما آية، قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ (٣) كما ورد في القرآن الكريم جملة من الآيات تتضمن ثبوت بيانه و عربيته ، فقال ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤) وقال ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا

(١) سورة البقرة الآيات ٣٠-٣٢
(٢) سورة الروم الآية ٢٢
(٣) سورة مريم الآية ٩٧
(٤) سورة الشعراء الآيات ١٩٢- ١٩٦

عَرَبِيًّا﴾ [١] وقال ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٢] .. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على العلاقة الحميمة بين الرسالة الإسلامية واللغة العربية، وبناء على هذه العلاقة نجد السلف الصالح مهتما بالفصاحة، حاضا على تعلمها والعناية بها، فهذا أمير المؤمنين عمر الخطاب يقول « تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة» [٣] ، ويقول: «تعلموا العربية فإنها من دينكم» [٤] ، وفي السياق يقول الشافعي «ما جهل الناس، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب» [٥] ، ويقول ابن تيمية «اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا باللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» [٦] ، ويقول أيضا: «فإن «فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي يتميزون بها» [٧] ، من هذه الرؤية الواعية والعميقة لوظيفة اللسان الفكرية والاجتماعية والحضارية تنطلق هذه الدراسة.

---

(١) سورة الرعد الآية ٣٧

(٢) سورة يوسف الآية ٢

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٧/٢، رقم ١٦٧٦) ، والخطيب فى الجامع (٢٥/٢، رقم ١٠٦٧

(٤) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت لبنان، ط٧، ١٤١٩ – ١٩٩٩، ج ١، ص ٥٢٧ – ٥٢٨

(٥) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج١٠/ ص ٧٣

(٦) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، مرجع سبق ذكره، ج١/ ص ٥٢٧

(٧) المرجع نفسه، ج٢٠٣/١

وتتبوأ العربية اليوم ، أول القرن الواحد والعشرين، مكانة مرموقة ضمن الألسنة المتصدرة في ساحة اللغة البشرية السائدة في العالم، وهي اللغات الست الرسمية [١] في الأمم المتحدة.

ولكن طريق العربية إلى هذه المرتبة المتقدمة لم تكن مفروشة بالورود؛ رغم مقوماتها الذاتية والموضوعية كامتدادها الزماني الطويل وانتشارها المكاني العريض، فقد أكسبتها تجارب ذاتية ومواجهات تاريخية حاسمة، مدا وجزرا متعاقبين، قبل أن تصل إلى ما هي عليه الآن.

فما التحدي وما التصدي الوارد في عنوان هذه الدراسة؟

وكيف واجهت الفصحى تلك التحديات بالتصديات ؟

لعل في السطور التالية ما يدخل في الإجابة عن بعض هذه الأسئلة:

(١) اللغات الست الرسمية في المنتظم الدولي هي: الانجليزية، الاسبانية، الفرنسية، الروسية، الصينية، العربية

المبحث الأول: مقومات الفصحى

أولا - الخصائص الذاتية والموضوعية للغة العربية :

١ - الخصائص الذاتية :

لئن تهيأت للغة العربية أسباب الاستمرار والقوة، لعلاقتها بالحضارات الأولى في اليمن والشام وبلاد الرافدين والشمال الإفريقي، وكونها لغة الإسلام فإن ما توفر للسان المضري من ذلك لم يتوفر لغيره من لغات العرب التي شكلت روافد تصب في اللسان المضري الفصيح، ليصبح لغة الأدب (الفصحى) الجامعة للعرب وديوانهم قديما وحديثا، ويمكن أن نشير إلى بعض الخصائص التي يتوفر عليها اللسان العربي دون غيره من الألسنة:

أ ـ الامتداد الزماني:

من الصعب تحديد البداية الحقيقية للغة العربية؛ فهي عند بعض المفسرين لغة الكتب السماوية [١] ، التي تكلم بها آدم والأنبياء من أبنائه بعده، إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وإنما يبين كل رسول لقومه الوحي بلسانهم. فالعربية الحالية – على هذا الرأي – أقدم اللغات الحية

(١) ذكر السيوطي في تفسير سورة إبراهيم الآية ٤ ، أن الكتب السماوية (الوحي)، كان يتلقاه جبريل بالعربية ثم يترجمه كل نبي لقومه بلسانهم، قال السيوطي: "أخرج ابْن مرْدَوَيْه من طَرِيق الْكَلْبِيّ عَن أبي صَالح عَن ابْن عَبَّاس – رَضِي الله عَنْهُمَا – قَالَ: كَانَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام يُوحى إِلَيْهِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَينزل هُوَ إِلَى كل نَبِي بِلِسَان قومه (...) وأخرج ابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم عَن سُفْيَان الثَّوْرِيّ – رَضِي الله عَنهُ – قَالَ: لم ينزل وَحي إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ ثمَّ يترجم كل نَبِي لِقَوْمِهِ بلسانهم" يراجع: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٢٠١٠، ج ٥، ص ٤–٥،

الآن[١] ؛ حيث يمتد عمرها آمادا بعيدة تقدر ببضع آلاف من السنين أوفي أقل تقدير تربو على ألفي سنة [٢] ، ومع ذلك ما تزال خصبة متجددة بسبب مميزاتها الذاتية والموضوعية من اشتقاق وإعراب ومرونة وثراء.

ب ـ الامتداد المكاني:

لئن كان شبه الجزيرة العربية المهد الاصلي للغة العربية وللحضارات القديمة، فقد انتشرت اللغة العربية بعد ظهور الإسلام؛ وذلك مع العرب الفاتحين إلى معظم الآفاق المعمورة في تلك الحقبة: وهي شرق وشمال افريقيا، وغرب آسيا ووسطها، وجنوب وشرق أوروبا، حيث بقيت العربية مستعملة كليا أو جزئيا في العالم الإسلامي منذئذ وإلى اليوم.

---

(١) ذهب بعض الباحثين إلى أبعد من هذا حيث اعتبر أن العربية هي أم اللغات البشرية جميعا، وأن ٦٧% من المفردات اللاتينية ذات أصل عربي، ومن بين هذه الأطروحات أطروحة الباحث الهندي محمد أحمد مظهر (العربية مصدر كل اللغات Arabic the source of All Languages)، ١٩٧٢، والباحث عبد الرحمن بن عطية (الجذور العربية للغة اللاتينية) و(العرب والهندو أوروبيون Arabes et indo-europ'ens)، وعبد الرحمن البورني، (العربية أصل اللغات كلها). عمان ط١، ١٩٩٨.

(٢) جدير بالتذكير هنا تقسيم التاريخ للأمم إلى شعوب ما قبل الطوفان وما بعد نوح عليه السلام ، وأن العربية تقسم عادة حسب الأقوام المتحدثين بها ؛ فهناك عرب بائدة منهم عاد وثمود وطسم وجديس ووبار هؤلاء يرجع تاريخهم إلى ما بين ٥٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ سنة من الآن (مطلع الألف الثالثة بعد الميلاد)، أما العربية الفصحى الحالية فهي لغة العدنانيين من أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام (قبل نحو ٣٧٠٠ سنة) في الحجاز وما جاورها حيث أخذها العدنانيون من أخوالهم جرهم الثانية التي هي من العرب العاربة .

ج ـ الثراء:

يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) عن تميز العربية بالبيان والثراء معنى ومبنى: «لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، وما نعلم أحدا يحيط بجميعها غير نبي، ولكنها لا يذهب منها شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها، والعلم بها عند العرب كالعلم بالسنن عند أهل الفقه، لا نعلم رجلا جمع السنن كلها فلم يذهب عليه منها شيء، فغدا جُمع علم عامة أهل العلم بها أتى على جميع السنن، وإذا فرق علم كل واحد منهم، ذهب على الواحد منهم الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره» [(١)] وقد أثبت البحث العلمي المعاصر صحة ما ذهب إليه الشافعي قبل أكثر من ألف ومئتي عام .

فالعربية تتميز بثروة لفظية ومعنوية هائلة كما تشير الإحصائيات الحديثة، حيث تبلغ ألفاظ مفرداتها المستعملة والمهملة (أكثر من ١٢ مليونا) ، و في الثراء تليها من اللغات الحية اليوم: الانجليزية(نحو ٦٠٠ ألف مفردة فقط)، ثم الفرنسية (نحو ١٥٠ ألف مفردة)، ثم الروسية (نحو ١٣٠ ألف مفردة)، فمفردات العربية تساوي ضعف مفردات الانجليزية ٢٥ مرة [(٢)] ،

(١) محمد بن أحمد الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ٢٠٠١، ج١، ص ٦

(٢) موقع عزام بن محمد الدخيل، http://azzamaldakhil.com

د ـ الاشتقاق:

يعرف الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) الاشتقاق «بأنه نزع لفظٍ مِن آخرَ، بشرط مناسبتهما معنًى وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة» [١] ، ويتألف اللسان من مواد يمكن اعتبارها مفردات أصلية تتولد عنها صيغ ومفاهيم فرعية، ذات صلة بعاملين أساسيين :

الأول هو التطور الحضاري لحياة أهل اللسان زمانيا، واحتكاكهم بثقافات غيرهم من الأمم مكانيا.

الثاني علاقة اللسان بالعلم وتجدده واستيعاب ما يستجد في حياة الناس من معارف و مبتكرات .

فالاشتقاق في العربية ميزة ذاتية، نشأ من تصريف العرب للمفردات، غير المبنية، ليعبروا عن الدلالات المطلوبة بالصيغ المشتقة عن الهيئات والمواقف والأوضاع القائمة والمستجدة بشكل دائب في حياة الناس ومخترعاتهم ، من هذا المنطلق توفرت المشتقات في معظم مواد اللسان العربي؛ فنحن في معظم الفاظ العربية نشتق اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة ، ،وأفعل التفضيل، واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة، وأوزان المبالغة، والتصغير، والنسب.. بصيغ التذكير والتأنيث إفرادا وتثنية وجمعا بالإضافة الى تصاريف الفعل مع كل الضمائر وفي الازمنة المختلفة إثباتا ونفيا واستفهاما وغير ذلك من الصيغ الاشتقاقية الثرية.

---

(١) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م – ص ١٨

فالاشتقاق والترادف والتضاد سمات حاضرة في اللسان العربي، وهي دليل ثراء، وأداة اتساع، في التعبير والتصرف في فنون الأساليب، وسبيل إلى الإضافة والإبداع.

هـ ـ البيان:

يعرف الجرجاني البيان بأنه «عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع» (١)

وقد نص القرآن الكريم على بيان اللسان العربي، و ذهب بعض اللغويين الى أن البيان الموجود في اللسان العربي لا يوجد في غيره ، فالبيان الكامل (بالمعاني الثواني والثوالث)لا يحصل بغير اللسان العربي، ومن الذين قالوا بهذا أحمد بن فارس في فقه اللغة: «لغةُ العرب أفضلُ

---

(١) الجرجاني، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧، والبيان بالإضافة خمسة:

١ – بيان التبديل هو النسخ وهو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر

٢ – بيان الضرورة هو نوع بيان يقع بغير ما وضع له لضرورة ما إذ الموضوع له النطق وهذا يقع بالسكوت مثل سكوت المولى عن النهي حين يرى عبده يبيع ويشتري فإنه يجعل إذنا له في التجارة ضرورة دفع الغرر عمن يعامله فإن الناس يستدلون بسكوته على إذنه فلو لم يجعل إذنا لكان إضرارا بهم وهو مدفوع.

٣ – بيان التغيير هو تغيير موجب الكلام نحو التعليق والاستثناء والتخصيص.

٤ – بيان التفسير وهو بيان ما فيه خفاء من المشترك أو المشكل أو المجمل أو الخفي كقوله تعالى ﴿وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة﴾ (البقرة ٢٧٧) فإن الصلاة مجمل فلحق البيان بالسنة وكذا الزكاة مجمل في حق النصاب والمقدار ولحق البيان بالسنة.

٥ – وهو النطق الفصيح المعرب أي المظهر عما في الضمير وإظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورا قبله وقيل هو الإخراج عن حد الإشكال والفرق بين التأويل والبيان أن التأويل ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنى محصل في أول وهلة والبيان ما يذكر فيما يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض.

اللغات وأوسعُها [١] ، قال تعالى: ﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتكُونَ مِنَ المُنْذِرين بِلِسَانٍ عربي مُبِينٍ﴾ [٢] فوصفه سبحانه بأبلغ ما يُوصَف به الكلامُ وهو البيان، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [٣] ، فقدَّم سبحانه ذِكْرَ البيان على جميع ما توحَّد بخَلْقه وتفرَّد بإنشائه من شمسٍ وقمر ونجْم وشجر وغير ذلك من الخلائق المُحْكَمَة والنشايا المتقنة ، فلما خصَّ سبحانه اللسانَ العربي بالبيان عُلم أن سائرَ اللغات قاصرةٌ عنه وواقعة دونه» [٤] .

و - مرونة الفصحى وسهولتها:

ورد في الكتاب العزيز النص على تيسير الله القرآن بلسان محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [٥] وقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [٦] ومن مظاهر يسر اللسان العربي قلة حروفه ، حيث لا تتجاوز أبجديته الأصلية ٢٨ حرفا، وإذا أضفنا إليها بعض الحروف الهجينة لداعي الترجمة، فإنها لا تكاد تبلغ ٤٠ حرفا، بينما بعض الألسنة المتقدمة كالصينية تبلغ حروفه بعد الاختصار والتهذيب ٢٢٠٠ حرف، واليابانية ٢٦٠٠ حرف، ومع ذلك لم

---

(١) أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط١، ١٤١٨، ١٩٩٧م، (نسخة الشاملة) ص ١٩

(٢) سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ – ١٩٥.

(٣) سورة الرحمن الآيات ١– ٣

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨-١٩٩٨، ج ١، ص ٢٥٤

(٥) سورة مريم الآية ٩٧

(٦) سورة القمر الآية ٢٢

يحل كل هذا دون أن يبتكر الصينيون واليابانيون، الأجهزة الفنية للكتابة والرقن والطباعة [١] ، لهذه الأعداد الهائلة من الحروف/الكلمات.

ز ـ الإعجاز:

عرف الجرجاني حد الإعجاز بقوله : «هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته» [٢] ، أو «الإعجاز في الكلام هو أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق» [٣]

وقد ثبت إعجاز القرآن باللسان العربي الفصيح عندما نزل به القرآن الكريم، في مجتمع هو مضرب المثل في الفصاحة واللسن، فتحداهم القرآن أن يأتوا بعشر سور مثله، فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا، فإعجاز القرآن، للبشر عامة والعرب خاصة، قضية علمت بالضرورة وهي قضية دالة على إعجاز لغة القرآن (العربية الفصحى)، وسياق القرآن يدل على استمرار الإعجاز ، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [٤] ، وقد أثبت التاريخ صدق هذا؛ وذلك لمرور وقت كاف لرفع الخصوم التحدي عنهم (نحو ١٤٤٠ عام)، وإذ لم يرفع الخصوم التحدي فقد لزمهم العجز وثبت الإعجاز ولم يعد مجال جدل ولا مراء..

---

(١) عبد السلام المسدي، التخطيط اللغوي والأمن اللغوي، ص ١٢

(٢) الجرجاني، التعريفات، مرجع مذكور ص ١١٢،

(٣) الجرجاني، التعريفات، مردع مذكور ص ٤٧،

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٨

ولعل من هذا الباب ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ» [١] ،بمعنى اكتناز المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة؛

وللكلام باعتبار النوع مراتب ثلاث :الفصاحة، و البلاغة، والإعجاز وكلها متوفرة في اللسان العربي متجلية في النصوص الأدبية والشرعية.

٢ ـ الخصائص الموضوعية:

أ ـ علاقة العربية بالشريعة:

العربية مفتاح الأصلين الكتاب والسنة، ووعاؤهما لأن فهم كل واحد منهما فهما سليما متوقف على إتقان اللسان العربي حتى يستوعبه المسلم استيعاب العرب له ولأساليبه في صدر الإسلام أيام نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبليغه طريا حيث لا لحن ولا تحريف، والعربية خطاب الناس في تعاملهم اليومي.

فمن أعرض عن تعلمها واستعمالها كما كانوا يستعملونها، فقد أعرض عن فهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهما سليما، وقد يخشى عليه الدخول فيمن يشملهم قوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [٢] ولهذا قال عمر بن الخطاب: «تفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي»، وقد علق ابن تيمية على قول عمر هذا، قائلا: «لأن الدين فيه فقه

(١) صحيح البخاري (ج ٢٣ / ص ١٦٦)،عن أبي هريرة برقم(٧٠١٣).
(٢) سورة طه، الآية ١٢٤

أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه الأقوال، وفقه الشريعة هو الطريق إلى فقه الأفعال» (١) .

ثم يزيد العلاقة القائمة بين العربية والدين الإسلامي جلاء: «إن التكلم بالعربية يؤثر في العقل والخلق والدين وعلى المسلمين التحدث بالعربية ليتشبهوا بالصحابة» (٢) ، ويقول «اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق» (٣) .

ويرى بعض العلماء أن جهل العربية سبب من أسباب الضلال و الزيغ والالحاد، ونكتفي بعرض أمثلة من ذلك:

- يقول الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، مبينا سبب تأليفه تهذيب اللغة ، بعد أن أشار إلى واجب العلماء في النصيحة لعامة المسلمين بإبلاغهم لسان العرب فصيحا مهذبا سليما من الشوائب «...فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب ثم السنن المُبَيِّنَةِ لمجمل التنزيل، الموضحة للتأويل لتنتفي عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والالحاد، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطأوا وتكلموا في كتاب الله جل وعز بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا» (٤)

---

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، مرجع سبق ذكره، ج١ ص ٤٢٥

(٢) المرجع نفسه، ج١ ص ٤٢٧

(٣) المرجع السابق، ج١ ص٤٢٤

(٤) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ج١، ص ٦

• الفيروز بادي (ت٨١٦هـ) في مقدمة القاموس «وَبَعْدُ، فَإِنَّ لِلْعِلْمِ رِيَاضًا وَحِيَاضًا، وَخَمَائِلَ وَغِيَاضًا، وَطَرَائِقَ وَشِعَابًا، وَشَوَاهِقَ وَهِضَابًا. يَتَفَرَّعُ عَنْ كُلِّ أَصْلٍ مِنْهُ أَفْنَانٌ وَفُنُونٌ، وَيَنْشَقُّ عَنْ كُلِّ دَوْحَةٍ مِنْهُ خِيطَانٌ وَغُصُونٌ، وَإِنَّ عِلْمَ اللُّغَةِ هُوَ الْكَافِلُ بِإِبْرَازِ أَسْرَارِ الْجَمِيعِ، الْحَافِلُ بِمَا يَتَضَلَّعُ مِنْهُ الْقَاحِلُ وَالْكَاهِلُ، وَالْفَاقِعُ وَالرَّضِيعُ، وَإِنَّ بَيَانَ الشَّرِيعَةِ لَمَّا كَانَ مَصْدَرُهُ عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَكَانَ الْعَمَلُ بِمُوجَبِهِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِإِحْكَامِ الْعِلْمِ بِمُقَدَّمَتِهِ، وَجَبَ عَلَى رُوَّامِ الْعِلْمِ وَطُلَّابِ الْأَثَرِ، أَنْ يَجْعَلُوا عُظْمَ اجْتِهَادِهِمْ وَاعْتِمَادِهِمْ، وَأَنْ يَصْرِفُوا جُلَّ عِنَايَتِهِمْ فِي ارْتِيَادِهِمْ إِلَى عِلْمِ اللُّغَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِهَا، وَالْوُقُوفِ عَلَى مُثُلِهَا وَرُسُومِهَا. وَقَدْ عُنِيَ بِهِ مِنَ الْخَلَفِ وَالسَّلَفِ فِي كُلِّ عَصْرٍ عِصَابَةٌ، هُمْ أَهْلُ الْإِصَابَةِ، أَحْرَزُوا دَقَائِقَهُ، وَأَبْرَزُوا حَقَائِقَهُ، وَعَمَرُوا دِمَنَهُ، وَفَرَعُوا قُنَنَهُ، وَقَنَصُوا شَوَارِدَهُ، وَنَظَمُوا قَلَائِدَهُ، وَأَرْهَفُوا مَخَاذِمَ الْبَرَاعَةِ، وَأَرْعَفُوا مَخَاطِمَ الْيَرَاعَةِ، فَأَلَّفُوا وَأَفَادُوا، وَصَنَّفُوا وَأَجَادُوا، وَبَلَغُوا مِنَ الْمَقَاصِدِ قَاصِيَتَهَا، وَمَلَكُوا مِنَ الْمَحَاسِنِ نَاصِيَتَهَا» [١] .

• ويقول محمذن فال متالي التندغي الشنقيطي في تفضيل تعلم اللغة العربية على التفرغ للعبادة بالنوافل، مؤصلا ذلك بالقرآن الكريم:

تَعَلُّمَ اللُّغَةِ شَرْعًا فَضِّلِ ... عَلَى التَّخَلِّي لِعِبَادَةِ الْعَلِي
يُؤْخَذُ ذَا مِنْ قَوْلِهِ (وَعَلَّمَ ... آدَمَ الْأَسْمَاءَ) الْزِمِ التَّعَلُّمَا [٢]

(١) الفيروزآبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص ٢٦

(٢) مباركه بنت البراء، الشعر الموريتاني الحديث، من ١٩٧٠، إلى ١٩٩٥، دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨، ص ٢٢

• ويقول محمد ولد الطلبه اليعقوبي الشنقيطي (ت ١٢٧٢هـ) مشيرا إلى المنهج المحضري الموريتاني البادئ بعد القرآن الكريم باللسان العربي:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ كُلِّفَا ... تَعَلُّمُ اللُّغَةِ حَتَى يَعْرِفَا
مَعْنَى الْإِلَهِ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِي ... لِكَوْنِهِ مِفْتَاحَ نَيْلِ الْأَرَبِ (١)

•وفي الجانب الاجتماعي يقول محمدو بن حنبل الحسني الشنقيطي (ت ١٣٠٢هـ) محذرا الفتيات من تفضيلهن الزواج من الأغنياء الجهلاء على الزواج من العلماء الفقراء:

كُلُّ فَتَى شَبَّ بِلاَ إِعْرَابِ ... فَهُوَ عِنْدِي مَثَلُ الْغُرَابِ
وَإِنْ رَأَيْتَهُ لِخَوْدٍ عَاشِقَا ... فَقُلْ لَهَا اتَّقِي الْغُرَابَ النَّاعِقَا
لاَ انْتَفَعَتْ بِالْأَكْلِ وَالشَّرَابِ ... مَنْ آثَرَتْ مَالاً عَلَى إِعْرَابِ (٢)

• ويقول المختار بن المعلى الحسني ١٢٦٩-١٣٤٩ هـ ١٨٥٢ - ١٩٣٠م حاضا على تحصيل علم اللسان العربي من منابعه: «اعلم عمرك الله، وهدانا وإياك بهداه، أن العربية غير محصورة ولا مقصورة، بل هي منثورة ومنشورة، ومريدها في المصنفات، كطالب الشيء بعد الفوات، وإنما هي في البيت النادر، والمثل السائر، ودواوين الشعراء وخطب الخطباء، من العرب العرباء والجاهلية الجهلاء، فمن لم يزاحمهم على حياضها، ضل في مآسدها وغياضها، واشتبهت عليه رباها، واختلفت عليه ظباها» (٣) .

(١) ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني، تحقيق محمد عبد الله بن الشبيه بن أبوه، نشر أحمد سالك بن محمد الأمين ابن أبوه، ط ١٩٩٩، ص ٢١
(٢) أحمد الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط٤، ١٤٠٩، ١٩٨٩، مكتبة الخانجي بالقاهرة ومؤسسة منير بنواكشوط، ٣١٨ – ٣١٩
(٣) مركز محمد بن الطلبه للدراسات والبحوث (http://ctolba.net/dictionr.html) المعجم اللغوي الشنقيطي، ومجلس اللسان العربي بموريتانيا:
http://www.allissan.org/node/١٢٥٩

ب - علاقتها بالحضارة الإنسانية:

لقد أسهمت اللغة العربية، وتسهم في تشكيل ثقافة أمم عدة في القديم والحديث ، حيث صهرت ثقافات كثيرة في حضارة واحدة هي الحضارة الإسلامية (دينها الإسلام، ولغتها العربية) التي سادت العالم زهاء ألف سنة، وقد استمرت تلك الحضارة الى الآن حيث يدين بالإسلام و يستعمل العربية كليا أو جزئيا أكثر من مليار ونصف مسلم عبر العالم ، بالإضافة إلى استعمالها في المجالات المختلفة :كالعلوم والاقتصاد ضمن الشركات العابرة للقارات في إنتاجها وتسويقها، فهي لغة علمية صناعية متجددة تتأقلم مع جميع تطورات الأجهزة وتواكب أحدث التقنيات، إلى غير ذلك من المجالات العلمية والثقافية والحضارية المتجددة، وقد نتج عن انتشار اللسان العربي مع الإسلام في العالم، تبادل التأثير بين العربية والألسنة عامة وتأكد ذلك عند الأمم الإسلامية،

يقول عبد المجيد شوقي السكري في كتابه (أم اللغات وعلم الاشتقاق والمقابلات): «لقد قمت بإجراء مقابلات واضحة مدة عشرين سنة وقد وقفت على وجود ١٦٥٠ كلمة قرآنية في ٢٢ لغة من لغات العالم الحية: وهي الانجليزية، والفرنسية، والروسية، والإيطالية، والفارسية، والكردية، واللاتينية، والتركية، والألمانية، والإسبانية، والبرتغالية، والأفغانية، و الكنعانية ، والسريانية، السورية، والآرامية، والآشورية، والحبشية، واليونانية، والأرمنية، والألبانية، والكرواتية، والرومانية، البلقانية.

وبالنسبة للغة الانجليزية أكثر من ٣٤ طائفة من اللغة الانجليزية تشكل العمود الفقري للغة وهي بعض أسماء البدن ، والعائلة، والقرابة،

والبيت، والملابس، والأواني، والحيوان الأهلي، والبري، والنبات، والأثمار، والطعام، والأدوات، والجو، والطبيعة الأرضية ، والسلاح، والأعداد، والإشارة، والضمائر، والأماكن، والدين، والحاصلات والأوصاف، والصناعات، والألوان، وأسماء بعض العلوم والفلك» [١] .

ولعلنا نكتفي بمكانة اللغة العربية اليوم في المحافل الدولية مقتصرين على المنتظم الدولي العام: هيئة الأمم المتحدة وهيئاتها المتفرعة عنها، فاللغة العربية فيها إحدى اللغات الست الرسمية [٢] ، وذلك ما سنبينه أكثر في قسم التحديات.

ثانيا ـ نماذج من أقوال خبراء الغرب عن اللغة العربية:

نورد هنا فقرات على شكل ومضات توحي بما هو غيض من فيض دلالة على مكانة اللغة العربية (الفصحى) عند غير أبنائها من الخبراء الأجانب، مع تعجب بعض هؤلاء المستشرقين من إعراضنا عن لغتنا الفصحى:

١ ـ يقول فيلا سبازا:

«إن الذين حولوا كل قواهم إلى التعلم باللغات الأجنبية جاعلين لغة أجدادهم في المنزلة الثانية أو في طي الإهمال قد سدت دون مواهبهم منازل الألمعية.. واللغة العربية من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوربا لتضمنها كل أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والانجليزية

(١) د. أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، اللغة والأدب والثقافة، دار الأنصار، القاهرة، ط ١٤٠٩، ج٤ – ص: ١٢٦

(٢) الرابعة عالميا من حيث الناطقين والثانية من حيث الاستعمال،

والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة ولا تزال حتى الآن تعالج رمم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه، إني لأعجب لفئة كثيرة معدودة من أبناء هذا الشرق العربي تنفرط من عقد قوميتها، ويتظاهر أفرادها بتفهم الثقافات الغربية تماما، فهم يعجزون بابتعادهم عن لغة قومهم وغرائزهم، ولكم رأيت في هذه البلدان العربية أناسا يخدعون أنفسهم ليقال عنهم:(إنهم مدنيون راقون متعالون إلى أسمى درجات المدنية)!» (١)

٢ ـ **ويقول جورج وست**:

«لغة العرب تفوق كل لغة في الانتشار إذا نظرنا إلى اتساع الأقطار التي لها فيها سلطان، وهي تفوق أيضا كل لغة إذا نظرنا إلى التأثير في مستقبل الأعمال البشرية» (٢)

٣ ـ **ويقول فتيجو**:

«على العرب أن يقاوموا الدعاية المؤلمة التي تطالبهم بالتخلي عن شرفهم وتقاليدهم وإبائهم، وأن يستسلموا إلى القوى المستعمرة التي لا تؤمن بالله وتطمح إلى إخضاع العالم.. وليقاوم العرب ويثابروا فالعالم في حاجة إليهم، وعلى العرب أن يتمسكوا بلغتهم: تلك الأداة الخالصة من كلشائبة والتي نقلت الإنتاج الفكري العالمي من غير محاولة نقصه أو خفضه» (٣) .

---

(١) د. أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، ج٤، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٨
(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٨

٤ ـ ويقول أرنست رينان:

«إن من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره: انتشار اللغة العربية فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى.. فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى.. تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم أن علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر حتى أنه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة» (١) .

٥ ـ ويقول جوستاف جرونيباوم:

«عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد أنزلها قرآنا عربيا، والله يقول لنبيه: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا﴾، وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح.. ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات.. ليرفعها كثيرا فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة العربية

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٨

خصائص جمة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف لها نظائر في أي لغة أخرى» [١] .

٦ ـ وقال بروكلمان:

«بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا يكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا، المسلمون جميعا يؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى» [٢] .

هذه الشهادات المعترفة للفصحى من خبراء اللغة الغربيين لم يكن منسجما مع المواقف الثقافية والسياسية من الثقافة العربية عامة ولغتها العربية، ومثالا على ذلك ما أورده الباحث أنور الجندي في التخطيط السياسي لإحلال اللغات الاوروبية محل اللغة العربية في بلدها، يقول:

«فلما تقدم الاستعمار خطوة نحو احتواء المصريين أنفسهم ليكونوا يده العاملة، عين سعد زغلول (ناظرا) للمعارف في أكتوبر ١٩٠٦، فمضى في تنفيذ مخطط الاستعمار الذي كان دوفرن قد وضعه عام ١٨٨٢، والذي ينص على ما يأتي: "إن الأمل في نجاح تهذيب العامة في مصر لا يزال ضعيفا ما دام الصبيان لا يتعلمون اللغة العامية بدلا من تعلمهم لغة القرآن الشريف كما يفعلون الآن، فإن نسبة العامية إلى الفصحى في اللغة العربية هي كنسبة اللغة الإيطالية الحديثة إلى اللغة اللاتينية القديمة"، ولما ارتفعت

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٧ – ١٣٨
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٧

الأصوات بالمطالبة بإقرار اللغة العربية لغة أولى للتعليم عارض ذلك نـــاظر المعارف..» [١]

فقد خطط المستشرقون لقادتهم من الاستعماريين للقضاء على العربية ونشر لغة المستعمر محلها؛ ومع الأيام تضافرت عوامل محليـــة وظـــروف خارجية لإحلال اللغة الأجنبية محل العربية، وهي أهم التحديات التي تواجـــه الفصحى.

(١) د. أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، ج٤، مرجع سبق ذكره، ص ٧٣

المبحث الثاني: الفصحى والتحديات

لئن كانت الفصحى في أصلها – قبل نزول القرآن بها – مجرد لسان قريش، فقد تضافرت الأسباب لتكون مؤهلة لتبليغ الرسالة الإسلامية لسائر الناس واحتضانها منذئذ ، فاكتسبت على غيرها السيادة الخالدة بنزول القرآن ونشر الإسلام في أصقاع العالم ، وتأكد ذلك بجمع الفصحى وتقعيدها في مجامع ومعاجم وموسوعات صمدت وما زالت صامدة في وجه التحديات.

فما أبرز هذه التحديات التي تتعرض لها الفصحى؟

أولا: تحديات داخلية

تتمثل هذه التحديات في تولد اللهجات المشتقة من العربية في الأصل، وما تزال هذه اللهجات، بتطاول الزمن، تبتعد شيئا فشيئا عن فصاحتها ، وتتنوع بانقسام البلاد العربية إلى أقطار، وفي كل قطر لهجة أو أكثر؛ فكان اشتقاق اللهجات من الفصحى (ومن غيرها) تحولا لغويا مستمرا عن الأصل الفصيح .

تلهيج المعرفة:

الشكل من إعداد الباحث

فنحن إذن أمام بضع وعشرين لهجة على الأقل، كل لهجة تستأثر بالخطاب اليومي في جزء من هذه المجموعة البشرية التي تعتبر الفصحى لغتها الجامعة الأم ، ومن العجب –المنطقي في الوقت نفسه –إعراض كل أجزاء هذ المجتمع عن الفصحى، اكتفاء بلهجته المحلية على أنها هي العربية. وللباحث أن يتساءل عن هذه الظاهرة وأسبابها ؟

ربما يكون في مقدمة الأسباب لهذه الظاهرة اللغوية المبدأ اللساني المتمثل في الميل الى بذل المجهود الأدنى في التعبير ؛ حيث إن اللهجات

تتناقلها الأجيال بشكل طبعي فلا تحتاج اللهجة عادة الى بذل مجهود كبير لتوفر الاستعمال اليومي، ثم يأتي السبب الاجتماعي الثقافي الإعلامي في التوجه نحو تبسيط المخاطبات اليومية ، و تراكم الدعاية المغرضة بصعوبة الفصحى ، وتهويل التحدث بها؛ فهجر أبناؤها التحدث بها في الأسرة، ثم في المدارس والجامعات بل وحتى في بعض وسائل الإعلام، فتحولت العربية شيئا فشيئا إلى لغة مكتوبة غير منطوقة إلا عند المختصين و في بعض الرسميات وبعض وسائل الإعلام، وهذا الإعراض الجماعي عن الفصحى، شكل خطرا يتآزر -أو يتآمر بوعي أودون وعي - مع خطر آخر لا يقل عنه تهديدا لاجتثاث الفصحى وهو العمل المنظم - من المستعمرين القدامى والجدد وتلاميذهم منا -لإحلال لغة المستعمر محل العربية في مختلف المجالات؛

فإن المتأمل في علاقة الشباب العربي، بالفصحى يلفت نظره بشكل واضح مظاهر ضعف علاقة الشباب بلغتهم الأم[١] . وعن هذه العلاقة يقول الباحث د. بدر المقبل: «إن الراصد لواقع الشباب في علاقته باللغة العربية يلفت نظره جملة من الممارسات والظواهر، التي تعكس حال العلاقة بينهما، وتنبئ هذه الممارسات عن فتور في العلاقة بين الشباب ولغتهم الأم، مما يعكس وجود نظرة سلبية، تجاه قيمة العربية بين أوساط الشباب تصل في بعض الأحيان إلى عدم مبالاتهم بها، والاشمئزاز منها، ومحاولة التنكر لها بشكل كلي» [٢] .

---

(١) د. بدر بن علي المقبل، القيمة المعنوية للغة العربية لدى الشباب في دول مجلس التعاون الخليجي، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ ص: ٢١

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢

ولا شك «أن العلاقة بين اللغة والشباب ينعكس أثرها على مستقبل المجتمع من جهة تطوره وتنميته، أو سقوطه وفشله، وذلك لأن مسلوب الهوية لا يمكن أن تتطور به ثقافة أو تقوم عليه حضارة» (١)

ومن مظاهر الإعراض عن الفصحى في معظم البلاد العربية؛ انكباب الشباب في المغرب العربي على تعلم الفرنسية، وانصباب الشباب في المشرق العربي على اللغة الانجليزية، فقد رصد كثير من الباحثين هذه الظاهرة الغريبة المتمثلة من سخرية بعض الشباب العربي من لغته الأم (الفصحى)، وتفاخره باللغات الأجنبية التي قلما ما يحسنها «حيث يلجأ في أحاديثهم اليومية إلى استعمال اللغة الانجليزية والاستغناء عن اللغة العربية، وذلك إما بالاستعمال الكامل للغة الانجليزية وخاصة في المطاعم والشركات والفنادق والمستشفيات وغيرها، من الأماكن التي تنتشر فيها الأيدي العاملة الأجنبية، أو بالاستعمال الجزئي للغة الانجليزية بإقحام بعض المفردات – وهو ما يسمى في علم اللغة الاجتماعي بالتناوب اللغوي لقضاء حاجة ما، أو لمجرد التظاهر بمعرفة اللغة الانجليزية والتفاخر بالحديث بها» (٢) ، وهو دليل على ذوبان الهوية العربية والنظرة الدونية إلى لغتها الأم(الفصحى)، ومن هذه المظاهر الغريبة أيضا في العلاقة بين العربي ولغته الفصحى «سخرية الشباب من اللغة العربية وتهكمهم ممن يتحدث بها، ويعود السبب في ذلك إلى أن الصورة الذهنية عن اللغة العربية(...) تنحصر ضمن الموروث العتيق الذي عفى عليه الزمن وكأن الفصحى موروث ليس له مكان في العصر الحاضر» (٣)

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١س
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٥

ثانيا: تحديات خارجية:

وتتمثل في غزو اللغات الأجنبية- الاستعمارية - للغة العربية في عقر دارها ولو بالتدريج، ولئن كان تعلم لغات المستعمر بالأمس مفروضا علينا من الاستعمار لتكوين طبقة "مهنية" تساعده منا ، و"تتفهم" عنه مآربه، وتتعامل معه تعاملا "مدنيا متحضرا"، فقد أثمرت سياسة المستعمر اللغوية تلك اقتناع بعضنا اليوم بتبني لغة المستعمر بدلا من العربية الفصحى، وذلك من خلال ترسيم لغة الاستعمار والترويج لها والعمل على جعلها لغة الإدارة و التعليم، خاصة المواد العلمية، وتقدير حملة شهاداتها ماديا ومعنويا؛ بالتعيين في المناصب و بتقديمهم في المسابقات والتعيينات الحساسة، وإيثارهم على إخوتهم من حملة الشهادات العربية، الأمر الذي ولد صورة نفسية نمطية دونية عن تلك الشهادات العربية وحملتها فبدأت الهجرة اللغوية الاجتماعية بتهافت الآباء على تعليم أفلاذ أكبادهم هذه اللغات الاجنبية رغم تكاليفها الباهظة وصعوبتها على أطفالنا الذين ينشؤون في محيط "عربي" حتى الآن، أو هو ناطق بالعربية.

شكّل هذا الوضع اللغوي الغريب تحديا، متناميا، ومتسارعا للعربية الفصحى يتفاقم مع الأيام ، في غياب تخطيط لغوي مسؤول يهدف لتعليم عربي جاد ، يكون وفيا للانتماء الثقافي للأمة ويستجيب لمتطلبات المرحلة و مستلزماتها العلمية والفكرية والاجتماعية.

فالعربية الفصحى شهدت بالأمس و تشهد اليوم -بوصفها لغة عبادة المسلمين عامة والمجموعة العربية خاصة - طرفا من الإهمال والإعراض والإذلال المخطط له من الغرب المسيحي اللاتيني منذ الحروب الصليبية

مرورا بالاستشراق وانتهاء بالاستعمار القديم والجديد، الذي بدأ بالهيمنة الثقافية قبل الاحتلال السياسي، ففرض لغاته على الأمة الإسلامية، وعمل جاهدا–ويعمل – على محو العربية الفصحى وغيرها من لغات الأمم الإسلامية تو طيدا للهيمنة وسعيا إلى إحلال الثقافة الغربية محل الثقافة الإسلامية وإحلال اللغات الاستعمارية محل اللغة العربية ليتم استتباع المسلمين للمسيحيين واليهود استتباعا كاملا.

ويمكن أن نورد هنا مثالين على تصدي اللسان العربي لتحدي الغزو الغربي في الجزائر ومصر:

تم احتلال الجزائر سنة ١٨٣٢م من قبل المستعمر الفرنسي، ولم يكتف الفرنسيون باحتلال الشعب الجزائري في سيادته واقتصاده وتراثه الإسلامي، بل سعى الفرنسيون إلى استلحاق الشعب الجزائري ثقافيا وحضاريا، كما فعلت بريطانيا في مصر، وأول القرارات الاستعمارية في البلدين:

أ – فرض الفرنسية في الجزائر١٨٣٣، وفرض الانجليزية في مصر١٨٨٣.

ب – تشجيع إحياء البربرية في الجزائر و إحياء اللغة الهيروغليفية في مصر.

ج – القضاء على العربية الفصحى من خلال تهميش العلماء والسخرية منهم.

وقد زاد هذا الوضع المتنافر بين العلماء والاستعمار من إصرار العلماء على المقاومة الثقافية: علماء الازهر في مصر وجمعية العلماء في الجزائر، ومثلهم علماء الزيتونة بتونس وعلماء القرويين بالمغرب وعلماء المحاضر في شنقيط وعمر المختار في ليبيا.

وظل الفرنسيون ومن شايعهم في المغرب العربي وإفريقيا، وما يزالون، يرون أن الفرنسية ضرورية للحياة الكريمة، ولا يمكن الاستغناء عنها، شأنها في ذلك شأن الانجليزية في مصر والخليج والهند، وكل ذلك وسائل عملية للقضاء على العربية الفصحى في معاقلها الأصلية [١] .

واقتلاع الفصحى من على ألسنة العرب أولا، والمسلمين ثانيا، خطوة عملية فعالة إلى اقتلاع العقيدة الإسلامية السليمة من قلوبهم ؛للعلاقة الحميمة بين الفكر واللسان، كما سبقت الإشارة، وأما تعليمهم اللغات الأجنبية في الخطاب الرسمي والعلمي والاكتفاء بالعامية للمخاطبات اليومية، وتجنب الفصحى عمدا، فهي الخطوات التطبيقية لتحويل المجتمع الإسلامي إلى الاستلحاق بالغرب ثقافةً وفكرا وعقائد، ولو بعد حين ، وهو ما نشاهد بوادره منذ بعض الوقت وبتسارع أكثر مما كنا نتصور [٢] .

ولعل استنطاق الأرقام التي تعرض بعض محطات حصار العربية وخروجها "منتصرة" يعطينا بارقة الأمل في استرجاع المياه إلى مجاريها؟

---

(١) أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية والتخطيط، مسار ونماذج، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، الرياض ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، ط١، ص ٥٧-٥٨

(٢) مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، العدد ١، ٢٠١٥، تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ص ١٠٩

ثالثا: تحديات المنافسة بين اللغات اليوم:

أ – رحلة العربية إلى أروقة الأمم المتحدة والاحتفاء بيوم سنوي لها:

مرت اللغة العربية بعدة مراحل تحولت خلالها من المحظور المحاصر إلى الترسيم والاحتفال، حيث شهدت خلال هذه الرحلة –التي استغرقت نحو نصف قرن –محطات تاريخية بارزة نوجز أهمها في الجدول التالي:

	التاريخ	الحدث
فترة الاستعمار	ما قبل منتصف القرن ٢٠	حصار اللغة العربية، في التعليم، وفي التعامل اليومي، وفي الإدارة تشجيع العاميات ودعمها في الإعلام، والثقافة (المسرحية والسينما)، البعثات التبشيرية، ومعاهد الإرساليات الغربية التي يشرف عليها مستشرقون يهود ومسيحيون مبشرون
فترة نضال اللغة	١٩٥٤م	قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة التاسعة، يجيز الترجمة التحريرية فقط بثلاثة شروط: أ – أن لا تزيد الصفحات سنويا على أربعة آلاف صفحة. ب – أن تدفع الدولة التي تطلب الترجمة تكاليف الترجمة. ج – أن تكون هذه الوثائق سياسية أو قانونية تهم المنطقة العربية.
	١٩٦٠م	اتخذت اليونسكو قرارا يقضي باستخدام اللغة العربية في المؤتمرات الاقليمية التي تنظم في البلدان الناطقة بالعربية وبترجمة الوثائق والمنشورات الأساسية إلى

		العربية.
	١٩٦٦م	اعتماد اليونسكو قرارا يتضمن تعزيز استخدام اللغة العربية في اليونسكو، وتأمين خدمات الترجمة الفورية من العربية وإليها في إطار الجلسات العامة.
	١٩٦٨م	اعتماد العربية تدريجيا لغة عمل في منظمة الأمم المتحدة مع البدء في ترجمة وثائق المحاضر والعمل وتوفير خدمات الترجمة الفورية إلى العربية.
	١٩٧٣م سبتمبر	أصدرت جامعة الدول العربية في دورتها ٦٠ قرارا بجعل العربية ضمن اللغات الرسمية في الأمم المتحدة.
التسليم والاختفاء	١٨-١٢ ١٩٧٣	أصدرت الجمعية العامة للأم المتحدة قرارا يجعل اللغتين العربية والصينية لغتين رسميتين من لغات الأمم المتحدة وهيئاتها المنبثقة عنها
	١٩٧٤	قرار إدراج استخدام اللغة العربية في جدول الأعمال بناء على طلب تسع دول عربية هي «الجزائر، والعراق، والمملكة العربية السعودية، والجماهيرية العربية الليبية، والكويت، واليمن، وتونس، وجمهورية مصر العربية، ولبنان»
	١٧-١٢- ١٩٨٠	العربية تصبح لغة رسمية ولغة عمل في الأجهزة الفرعية في الجمعية العامة للأم المتحدة
	١٥ - ٥ - ١٩٨٢	العربية لغة رسمية للمجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة

	٢١ – ١٢ – ١٩٨٢	العربية لغة رسمية ولغة عمل في مجلس الأمن الدولي
	٢٠١٢/١٠	في انعقاد الدورة ١٩٠ للمجلس التنفيذي لليونسكو تقرر جعل ١٢/١٨ يوما عالميا للغة العربية من كل سنة، حيث احتفلت به اليونسكو لأول مرة ٢٠١٢
	١٠/٢٣ / ٢٠١٣	قررت الهيئة الاستشارية للخطة الدولية للتنمية الثقافية العربية (آرابيا) التابعة لليونسكو اعتماد اليوم العالمي للغة العربية كأحد العناصر الأساسية في برنامج عملها لكل سنة
عناوين الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية دوليا	٢٠١٣	العربية والإعلام
	٢٠١٤	العربية والخط العربي
	٢٠١٥	العربية والعلوم
	٢٠١٦	تعزيز انتشار العربية
	٢٠١٧	العربية والتقنيات الحديثة

وكان أول من تحدث في محفل الأمم المتحدة باللغة العربية بعد ترسيمها لغة في الأمم المتحدة، الرئيس الجزائري السابق هواري أبو مدين سنة ١٩٧٤م.

ب - مكانة اللغة العربية بين الألسنة اليوم:

يأتي ترتيب اللغة العربية والصينية في الأمم المتحدة في المرتبتين: الخامسة والسادسة، بالقرار الصادر ١٨-١٢-١٩٧٣م،

أما العربية فتعتبر الآن (٢٠١٧) رابع لغة حسب اعتبار اللغات الأولى في العالم، بعد الانجليزية والصينية (الماندرين)، والهندية، وكما يوضح ذلك الشكل التالي [١] :

ثم تأتي العربية في المرتبة الثانية حسب عدد الدول التي تتحدث بها بعد الانجليزية (كما يوضح ذلك الشكل التالي:

(١) راجع موقع عربية نيوز رابط:
https://www.skynewsarabia.com/varieties/989988

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

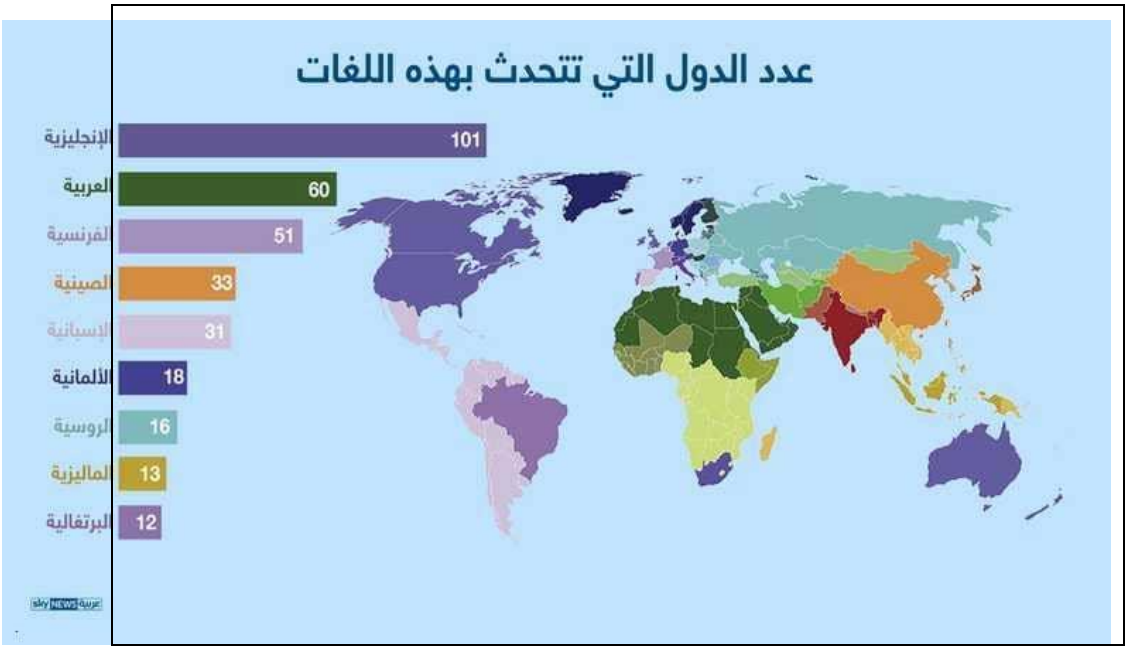

وعلى اعتبار مستخدمي اللغات على شبكة الانترنت وتطور أعدادهم يوضح الجدول التالي عدد الناطقين والمستخدمين ونسبة زيادتهم وتطورها قياسا إلى المجموع العالمي، بحيث تأتي العربية في المرتبة الرابعة بعد الانجليزية والصينية والاسبانية:

تطور أعداد مستخدمي الانترنت حسب اللغة (٣٠ يونيو ٢٠١٧)					
اللغات الكبرى على الشابكة	عدد الناطقين باللغة في العالم (تقديرات ٢٠١٧)	مستخدمو الشبكة باللغة ٣	نسبة الولوج إلى الشابكة (٪ من السكان)	نسبة زيادة المستخدمين (٢٠٠٠- ٢٠١٧)ه	نسبة المستخدمين قياسا إلى المجموع العالمي
الانجليزية	1,462,008,909	1,052,764,386	72.0 %	647.9 %	25.3 %
الصينية	1,452,593,223	804,634,814	55.4 %	2,390.9 %	19.4 %

الإسبانية	515,759,912	337,892,295	65.5 %	1,758.5 %	8.1 %
العربية	435,636,462	219,041,264	50.3 %	8,616.0 %	5.3 %
البرتغالية	286,455,543	169,157,589	59.1 %	2,132.8 %	4.1 %
الأندونيسية/ الماليزية	299,271,514	168,755,091	56.4 %	2,845.1 %	4.1 %
اليابانية	127,185,332	118,626,672	93.3 %	152.0 %	2.9 %
الروسية	143,964,709	109,552,842	76.1 %	3,434.0 %	2.7 %
الفرنسية	405,644,599	108,014,564	26.6 %	800.2 %	2.8 %
الألمانية	94,943,848	84,700,419	89.2 %	207.8 %	2.2 %
مجموع اللغات العشر الكبرى	5,135,270,101	3,206,613,856	62.4 %	1,091 %	77.1 %
بقية اللغات	2,499,488,327	950,318,284	38.0 %	935 %	22.9 %
المجمـــــوع العالمي	7,634,758,428	4,156,932,140	54.4 %	1,051 %	100.0 %
المرجع موقع[1]: Internet World Stats					

(١) رابط المقال: https://www.internetworldstats.com/stats7.htm

المبحث الثالث: آفاق

أولا: الفصحى بين كسر التحدي ونصر التصدي

«إن البحث في مستقبل العربية الفصحى مرتبط إلى حد بعيد بمكانة هذه اللغة ومدى قدرتها الفائقة على حمل الرسالة التي وكلت إليها عبر الأجيال على النحو الذي يكشف عنه تاريخها خلال المراحل المختلفة من حياتها ومن حياة الإسلام، فهي امتدت واتسعت وأصبحت لغة العلم والسياسة والحضارة خلال أكثر من ألف عام لم تستطع اللغات المختلفة أن تنازعها هذه المكانة، وتركت خلال ذلك بصماتها في كل قواميس اللغات العالمية، بل إنها ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ فقد ظلت المصطلحات التي أقامها أهلها تتحرك في كل مكان بوصفها مصطلحات عالمية وخاصة في علوم الكيمياء والفلك وعلوم البحار» (١) .

إذا استعرنا من أستاذنا أ.د. عبد السلام المسدي مصطلح: تلهيج الثقافة بمعنى جعلها باللهجة.. وأضفنا إلى ذلك المصطلح، مصطلحا آخر من عندنا، هو تعجيم المعرفة بمعنى جعل العلم حكرا على غير العربية الفصحى محصورا في اللغات الأعجمية (لغة المستعمر)، فكأننا وضعنا اليد على أهم التحديات التي تواجه لغة الضاد في الحال والاستقبال، وهما تحدي التلهيج وتحدي التعجيم.

ومن تلهيج الثقافة و تعجيم العلم يتولد ثالث التحديات – إن كتب لهما الاستمرار ولم يبرهن المعنيون بالعربية الفصحى على وعيهم وإرادتهم لإنقاذ الفصحى – هذا التحدي الثالث سنسميه الاستلاب الثقافي، أو الانتحار الحضاري.

---

(١) د. أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، مرجع سبق ذكره، ج٤، ص: ١٢٦

وهو تحد حقيقي، متسارع التفاقم، ينتظر تنبها و وعيا من قبل المعنيين بالشأن العام ليتصدوا له تربويا وقانونيا ويجعلوا الأمة ولغتها في مأمن من مخالبه المتربصة بها.

وقد ظهرت أعراض هذه التحديات في بعض الأوساط الاجتماعية في أمور منها:

- الإعراض المتنامي عن تعلم الفصحى والحديث بها، وتقدير أهلها..
- الإقبال الشديد، إلى درجة التهافت، على اللغة الأجنبية وتقدير أصحابها تقديرا..
- تجذير الانطباع الخاطئ بقصور الفصحى عن العلم واستيعاب المعارف والابتكار
- ترسيخ الاعتقاد الخاطئ بصعوبة الفصحى وسهولة غيرها، وهو اعتقاد متنام
- عدم بذل المال والوقت والجهد في تعلم الفصحى، والاستهزاء بها في بعض الأوساط الاجتماعية.
- بذل المال والوقت والجهد في تعلم غير العربية – مع الاعتزاز بالأجنبي ولغته [١]

(١) أ. د. محمد مرياتي، اللغة والتنمية المستدامة، دور اللغة في التحول إلى مجتمع المعرفة والاقتصاد القائم على المعرفة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، ط١، ص ٧١-٧٢

فكان من نتائج تراكم هذه التحديات المتتاليات تشويه الفصحى في واقع أهلها الثقافي، جيلا بعد جيل. ولم يكن هذا الإعراض جديدا، وإن كان متجددا؛

يقول الفيروز آبادي قبل نحو ستة قرون مشيرا إلى ما يلقاه اللسان العربي من ضيم وإعراض في زمنه –ربما يكون أكثر تعبيراعن حالة اليوم: «وَمَا أَجْدَرَ هَذَا اللِّسَانَ – وَهُوَ حَبِيبُ النَّفْسِ، وَعَشِيقُ الطَّبْعِ، وَسَمِيرُ ضَمِيرِ الْجَمْعِ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى ثَنْيَةِ الْوَدَاعِ، وَهَمَّ قِبْلِيُّ مَرْنِهِ بِالْإِقْلَاعِ – بِأَنْ يُعْتَنَقَ ضَمًّا وَالْتِزَامًا، كَالْأَحِبَّةِ لَدَى التَّوْدِيعِ، وَيُكْرَمَ بِنَقْلِ الْخُطُوَاتِ عَلَى آثَارِهِ حَالَةَ التَّشْيِيعِ. وَإِلَى الْيَوْمِ نَالَ بِهِ الْقَوْمُ الْمَرَاتِبَ وَالْحُظُوظَ، وَجَعَلُوا حَمَاطَةَ جُلْجُلَانِهِمْ لَوْحَهُ الْمَحْفُوظَ.» (١) .

وتتناغم مع تلك التحديات الداخلية المزمنة تحديات خارجية متجددة؛

ويقول اللغوي المعاصر عبد السلام المسدي:

«كم يحدث أن يتعاون في بعض أمصارنا العربية – بوعي أو بدون وعي – أصحاب القرار من فئات محسوبين على النخبة، كي يتقلص إشعاع اللغة العربية، ثم يتفتت كيانها تدريجيا؛ وإذا بهؤلاء وأولئك حلفاء موضوعيون لإرادات دولية نافذة ما انفكت تضغط كي تلاقي العربية المصير الذي لقيته اللاتينية، فتحل العاميات المنحدرة منها محلها. إنها دعوة خرجت من سياق المناورات السياسية المعهودة، ودخلت ضمن الإطار الاستراتيجي

(١) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، مرجع سبق ذكره، ج١ ص ٢٩- ٣٠

الأوسع، وعلى هذا النسق – ما لم ينتفض أصحاب القرار بوعي فجئي جديد – سنكون في المنظور المتوسط المدى أمة بلا هوية لغوية ونكون بذلك قد خذلنا اللغة العربية الفصحى في صراعها الوجودي الذي ليس بعده إلا إحدى خاتمتين: إما البقاء، وإما الانقراض» (١)

ثانيا: بوارق الأمل في الساحة العربية عامة والشنقيطية خاصة

ولئن تفاقمت التحديات الذاتية والموضوعية الداخلية والخارجية فإن فرص الإنقاذ متاحة و بوارق الأمل ما تزال متوفرة في كل الساحة المحلية والعربية ، ويمكن تقديم أمثلة على ذلك من واقع المواجهة بين التحدي والتصدي ؛

أ – الساحة العربية:

تتعدد أوجه الأنشطة التي قيم بها في الساحة العربية تعزيزا للغة العربية ودفاعا عنها، نشير من ذلك إلى:

١ – في الجانب الرسمي: جهود الجامعة العربية وخاصة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الالكسو)، وما تقوم به من تنسيق التعريب والترجمة والأنشطة الثقافية في نشر العربية وتعزيز مكانتها.

الدولة	المؤسسة	تاريخ التأسيس
المغرب	مكتب تنسيق التعريب التابع لمنظمة (الالكسو)	١٩٦١

(١) أ.د عبد السلام المسدي، التخطيط اللغوي والأمن اللغوي، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ٢٠١٥ ص ١٨-١٩

سوريا	الخطة الوطنية لتمكين اللغة العربية	٢٠٠٧
السعودية	القمة العربية في الرياض تؤكد مبدأ تعزيز الهوية العربية وضرورة تحصين مقوماتها وخاصة اللغة	٢٠٠٧
الأمم المتحدة	المجلس الدولي للغة العربية	٢٠٠٨
القمة العربية	قرار القمة العربية مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة	٢٠٠٩

٢ – في الجانب غير الرسمي: كالمجامع، والهيئات، والمؤسسات الهادفة إلى الدفاع عن اللغة العربية الفصحى ودعمها:

الدولة	الهيئة	تاريخ الإنشاء
الجزائر	الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية	١٩٩٠
السعودية	مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية	٢٠٠٨
الإمارات	جمعية حماية اللغة العربية	١٩٩٩
	مبادرة سمو الشيخ محمد بن زايد آل انهيان (مشروع تطوير اللغة العربية)	٢٠٠٩
	مبادرة سمو الشيخ محمد بن راشد (المحافظة على اللغة العربية وتعزيز مكانتها في المجتمع)	٢٠١٢

	مؤسسة الفكر العربي – مشروعها لننهض بلغتنا	٢٠١٢
المغرب	الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية	٢٠٠٧
	الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية	٢٠١٢
تونس	جمعية اللغة العربية وحمايتها	٢٠١١
قطر	المنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية	٢٠١٣
مصر	جمعية لسان العرب	١٩٩٢
موريتانيا	جمعية الضاد	١٩٩٧
	المرصد الموريتاني للغة العربية	٢٠٠٨
	المركز الموريتاني للدفاع عن اللغة العربية	٢٠١٦

٣ – المجامع العربية مرتبة حسب التاريخ:

الدولة	المجمع	التأسيس	الموقع الالكتروني
اتحاد المجامع العربية		١٩٧١	
سوريا	المجمع العلمي العربي بدمشق	١٩١٩	http://www.arabacademy.gov.sy/
مصر	مجمع اللغة العربية بالقاهرة	١٩٣٢	http://www.arabicacademy.org.eg/
العراق	المجمع العلمي العراقي	١٩٤٧	https://www.iraqacademy.iq/
المغرب	مكتب تنسيق التعريب التابع لمنظمة (الالكسو)	١٩٦١	http://www.arabization.org.ma

الأردن	مجمع اللغة العربية بالأردن	١٩٧٦	/http://www.majma.org.jo
السودان	مجمع اللغة العربية بالخرطوم	١٩٩٣	/http://khartoumarabicacademy.net
الجزائر	المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر	١٩٩٦	
السعودية	مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية	٢٠١٢	/.m-a-arabia.comhttp://www
فلسطين	مجمع اللغة العربية الفلسطيني	٢٠١٣	bca@arabization.org.ma
اليمن	المجمع اللغوي اليمني		
الإمارات	مجمع اللغة العربية بالشارقة	٢٠١٦	http://www.alashj.ae
موريتانيا	مجلس اللسان العربي	٢٠١٧	/http://www.alarabiah.org
ليبيا	مجمع اللغة العربية الليبي		arabiclanguagelibyan@gmail.com
الكويت	مجمع اللغة العربية بالكويت		

ب ـ في بلاد شنقيط (موريتانيا):

ومن البوابة الغربية للوطن العربي يمكن رصد بعض مظاهر التصدي لعوامل التحدي التي قد تسهم مع غيرها في الجواب العلمي والحضاري على رسالة الاستعمار التغريبية:

١ – المحاضر [١] : وهي هيئات علمية أهلية بها تدرس علوم العربية والشريعة جميع الاختصاصات العلمية ،تعود جذور نشأتها إلى عبد الله بن ياسين الجزولي (ت٤٥١هـ)، مرورا بمحمد بن سنة (ت ١١٨٦هـ)[٢] ، ومحمد بن صالح الفلاني(١٢١٨هـ)، والمختار بن بونه (١٢٢٠هـ)، وأحمد البدوي (ت١٢٢٠هـ)، ومحمد بن محمد سالم (١٣٠٠هـ)، ومحمدو بن حنبل (١٣٠٢)، والمحمدان الأمينان في المشرق العربي (في الحجاز والعراق) [٣] ، وصولا للعلماء المعاصرين في مشارق الارض ومغاربها ، ومنهم : محمد علي بن عدود (ت١٤٠٦هـ)، وابنه محمد سالم (١٤٣٠هـ)، وأحمدو بن آلا (الملقب في الحجاز بالمكتبة المتنقلة) (ت١٤٣٠هـ)، و محمد الحسن الددو ، و عبد الله بن بيه، وغيرهم من جهابذة اللغوين خريجي المحضرة الشنقيطية، هذه المؤسسة التي عملت لقرون وماتزال تعمل على :

- ✓ تكوين أجيال أصيلة تتوارث العلوم والمعارف العربية الإسلامية السمحة، تحافظ على انتمائها الواعي للأمة وتكافح الظلم والاستعمار والاستبداد.
- ✓ ترسيخ الأخلاق الحميدة والقيم السامية كالحرية والشجاعة والوفاء وإكرام الضيف وحسن الجوار والإيثار والمروءة.

---

(١) هي الجامعات المتنقلة في الخيام أو على ظهور الجمال في الصحراء الكبرى وبلاد شنقيط،

(٢) الزركلي، الأعلام ج٧، ص ٦٨

(٣) وهما محمد الأمين فال الخير الحسني توفي في الزبير بالعراق ١٣٥١هـ، ومحمد الأمين الجكني، المتوفى في الحجاز ١٣٩٣هـ

- ✓ نبذ الأخلاق المذمومة من جهل وانحراف، والحرص على معالي الأمور والشيم الفاضلة
- ✓ تخريج أفواج متتالية من حملة العلم والأخلاق الفاضلة محليا ودوليا، ولعل سفراء المحضرة الشناقطة في مشارق الأرض ومغاربها يشكلون ظاهرة عز نظيرها وقد ألف عنها علماء البلاد التي استضافتهم وكرمتهم وقدرت سفارتهم قبل أبناء بلدهم الأصلي.
- ✓ جعل المجتمع الموريتاني يرفض الجهل ويمجد العلم، وخاصة في مجال علمي اللغة العربية والفقه.

(وبلغ بهم الأمر في حب الفصحى أن رفضوا اللحن رفضا صارما؛ بحيث يكون سببا في هجرة من رفع منصوبا أو نصب مرفوعا، فإذا لم يكن معربا، وارتكب لحنا كان ذلك سببا لنبزه بلقب يلاحقه ويلاحق أبناءه مع الزمن، فيبقى النبز في ذريته آخر الدهر.. وكفى بها سبة زاجرة عن جهل العربية الفصحى.)

- ✓ ونختم بملاحظة أن هذه المحضرة – رغم الزوابع والزلازل الثقافية – ما تزال صامدة تواصل عطاءها حسب الظروف، والشواهد ماثلة في الداخل والخارج.

لعل ميزة موريتانيا البارزة هي المحظرة التي يقول عنها المختار بن بونا الجكني الشنقيطي:

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذ العصر طرا دون أدنانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا[1]

وقد اتخذ الموريتانيون في المحظرة المتنقلة.. الإبل وخيمة الشعر ولوح الشجر وسائل العلم والظفر.

وفي مكانة اللغة العربية الفصحى في المجتمع الموريتاني يشير شاعرهم أحمد بن عبد الله الملقب (الذيب) الحسني، إلى أن الفصحى في شنقيط، تتناقلها الأجيال بشكل طبيعي منذ الرضاعة، ثم تعزز بالتعلم من مصادرها المعتمدة :

لنا العربية الفصحى وإنا أعم العالمين بها انتفاعا
فمرضنا الصغير بها يناغي ومرضعه تكورها قناعا
فنأخذها من الكتب اعتمادا بما فيها ونأخذها ارتضاعا[2]

٢ ـ بعض الهيئات المؤسسة لخدمة الفصحى في موريتانيا:

كثيرة هي الأشكال الثقافية في موريتانيا التي تجعل على عاتقها تعزيز اللغة العربية الفصحى في مواجهة المنظمات التبشيرية و التهويدية (الافرانكفونية) المتفانية في صد الشباب عن (المحاضر)، وإغرائهم بالمدارس الأجنبية بتوفير المغريات والامتيازات لتعزيز مكانة اللغة الفرنسية في المناهج التعليمية الرسمية على حساب اللغة العربية، فنشأت ردا على

(١) د. يحيى محمد الهاشمي، شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٣، ص ١

(٢) المرصد الموريتاني للغة العربية، نشرية بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي اللغة العربية ٢٠١٣، ص ٦

ذلك الغزو الثقافي في موريتانيا هيئات علمية وثقافية متعددة، نكتفي منها بالمتخصص في التمكين للغة العربية الفصحى [١] :

الهيئة	الرئيس	التأسيس
جمعية الضاد	د. ناجي محمد الامام	١٩٩٧
المرصد الموريتاني للغة العربية	د. أحمد دولة محمد الأمين	٢٠٠٨
المركز الموريتاني للدفاع عن اللغة العربية	أ. محمد ولد محمد فال	٢٠١٦
مجلس اللسان العربي	د. الخليل النحوي	٢٠١٧

وقد قامت هذه الهيئات لتعزيز اللغة العربية في الساحة المحلية والمغاربية والإفريقية الى جانب المؤسسات المماثلة في الساحة العربية ، وجميعها تشكل نواة وعي بالمرحلة المفعمة بالتحديات ، حيث قامت وتقوم بتنظيم الأنشطة الموسمية، كتخليد اليوم العالمي للغة العربية، وإصدارات متعددة في مجال اللسان العربي، (مجلات، كتب، نشريات..) بالإضافة الى تنظيم المحاضرات وإقامة الندوات والمشاركة في المؤتمرات ذات الصلة

وكمثال موجز على ذلك قدم المرصد الموريتاني للغة العربية كتابا تربويا يعالج المناهج التعليمية الموريتانية ٢٠١٢، كما نظم المركز الموريتاني للدفاع عن اللغة العربية ندوة علمية مغاربية٢٠١٧، شاركت فيها الهيئات المعنية في الأقطار المغاربية (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا) [٢] .

---

(١) وقد حصل لي الشرف بكوني من ضمن المؤسسين لهيئتين هما : المرصد الموريتاني للغة العربية، ومجلس اللسان العربي..

(٢) المرصد الموريتاني للغة العربية، مدرسة المستقبل، ٢٠١٢، بمناسبة الأيام الوطنية التشاورية حول إصلاح التعليم في موريتانيا

نتائج وتساؤلات:

من النتائج:

١ – اللغة العربية في تطور وتحسن دائبين بفضل الله تعالى عليها بالإسلام وبخصائصها الذاتية والموضوعية، فهي بالإضافة إلى كونها لغة عالمية مرشحة بخصائصها الذاتية والموضوعية لأن تكون اللغة الكونية،

٢ – رغم قوة التحديات التي تواجه اللغة العربية وعدم استغلال أهلها لكل قدراتها، تتقدم العربية من حسن إلى أحسن، حيث كانت قبل ربع قرن تتقدمها ١٠ لغات والآن لا تتقدمها إلا ثلاث لغات عالمية في بعض الاعتبارات، وفي بعض الاعتبارات هي الثانية عالميا.

٣ – قامت المجامع اللغوية والهيئات العربية الرسمية والمدنية بجهود – لو تناغمت وتكاملت – تعتبر وسيلة تمكين الفصحى في وجه التهوين من شأنها، وأداة تفعيل في مواجهة تعطيلها.

مقترحات عملية :

١ – تنسيق جهود أولي الألباب :في الهيئات المعنية باللغة العربية توحد جهودها لتكون فروعا من مجمع عالمي موحد يقوم بتوحيد المصطلحات واحتضان المستجدات وتوليد المخترعات،

٢ – التفكير في انشاء منظمة للبلدان المستعملة للعربية (كليا أو جزئيا) على غرار منظومات لغوية أو ثقافية مماثلة : الكومنولث والفرانكفونية[١]

(١) في محاضرة قبل ربع قرن بمناسبة استقلال موريتانيا، دعوت إلى إنشاء منظمة دولية للناطقين بالعربية على غرار الفرانكفونية والكومنولث، وذكرت ذلك في كتابي محاضرات في اللسانيات والعربية.

٣ – العمل على تفصيح العاميات وتعريب المراجع العلمية الأجنبية، والتشجيع على ذلك

٤ – دعم البرامج العلمية التقنية المحوسبة على الشبكة العالمية، حتى يتسنى لأبناء الضاد تطوير مهاراتهم التقنية، ومواكبتهم لمستجدات التقنيات الحديثة.

٥– رصد جوائز لأفراد الأسرة التعليمية، (تلاميذ وطلابا، معلمين وأساتذة)، الذين يمارسون الدراسة والتدريس بالفصحى، سبيلا إلى التحدث بها في الأسرة والأماكن العامة.

وبعد استعراض صور مما تتعرض له الفصحى من تحديات وما تواجهه به من تصديات ،نختم بتساؤل نراه واردا :

متى يدرك القائمون منا على التربية والتعليم من جهة، وأصحاب القرار من جهة ثانية جسامة التحديات وضرورة تفعيل التصديات، لضمان كسب الرهانات؟

وبعبارة أ خرى متى التخطيط اللغوي لتحقيق السيادة الثقافية، والريادة العلمية، والأمن اللغوي ؟

من المراجع:

١. أ.د عبد السلام المسدي، التخطيط اللغوي والأمن اللغوي، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط١، ٢٠١٥

٢. أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية والتخطيط، مسار ونماذج، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، الرياض ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، ط١،

٣. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت لبنان، ط٧، ١٤١٩ – ١٩٩٩، ج ١،

٤. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي – الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ج١،

٥. أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، در الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط٣، ١٤٢٤هـ

٦. أحمد الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط٤، ١٤٠٩، ١٩٨٩، مكتبة الخانجي بالقاهرة ومؤسسة منير بنواكشوط،

٧. أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط١، ١٤١٨، ١٩٩٧م، (نسخة الشاملة)

٨. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ج١

٩. الجرجاني،

١٠. د. أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، اللغة والأدب والثقافة، دار الأنصار، القاهرة، ط ١٤٠٩، ج٤

١١. د. بدر بن علي المقبل، القيمة المعنوية للغة العربية لدى الشباب في دول مجلس التعاون الخليجي، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ

١٢. د. محمد مراياتي، اللغة والتنمية المستدامة، دور اللغة في التحول إلى مجتمع المعرفة والاقتصاد القائم على المعرفة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ط١،

١٣. د. يحيى محمد الهاشمي، شعر المقاومة الموريتانية ضد الاستعمار الفرنسي، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٣،

١٤. د. يحيى محمد الهاشمي، محاضرات في اللسانيات واللغة العربية، نشر اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، ٢٠١١

١٥. ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني، تحقيق محمد عبد الله بن الشبيه بن أبوه، نشر أحمد سالك بن محمد الأمين ابن أبوه، ط ١٩٩٩،

١٦. الزركلي، الأعلام ج٧، ص ٦٨

١٧. السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٢٠١٠، ج ٥، ص ٤-٥،

١٨. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨-١٩٩٨، ج ١

١٩. صحيح البخاري

٢٠. عبد الرحمن البورني، (العربية أصل اللغات كلها). عمان ط١، ١٩٩٨.

٢١. عبد السلام المسدي، التخطيط اللغوي والأمن اللغوي،

٢٢. علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣- ١٩٨٣م – ص ١٨

٢٣. الفيروزآبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،

٢٤. مباركه بنت البراء، الشعر الموريتاني الحديث، من ١٩٧٠، إلى ١٩٩٥، دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨

٢٥. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، مرجع سبق ذكره، ج١

٢٦. مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، العدد ١، ٢٠١٥، تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية،

٢٧. محمد بن أحمد الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ٢٠٠١، ج١

٢٨. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج١٠/

٢٩. المرصد الموريتاني للغة العربية، مدرسة المستقبل، ٢٠١٢، بمناسبة الأيام الوطنية التشاورية حول إصلاح التعليم في موريتانيا

٣٠. المرصد الموريتاني للغة العربية، نشرية بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي اللغة العربية ٢٠١٣،

المواقع الالكترونية:

مركز محمد بن الطلبه للدراسات والبحوث

http://ctolba.net/dictionr.html

المعجم اللغوي الشنقيطي، ومجلس اللسان العربي بموريتانيا:

http://www.allissan.org/node/١٢٥٩

رابط المقال:

https://www.internetworldstats.com/stats7.htm

موقع عربية نيوز رابط:

https://www.skynewsarabia.com/varieties/989988

موقع عزام بن محمد الدخيل

http://azzamaldakhil.com

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٩٩١
٢.	Abstract	٥٩٩٣
٣.	توطئة	٥٩٩٦
٤.	المبحث الأول: مقومات الفصحى	٦٠٠٠
٥.	أولا ـ الخصائص الذاتية والموضوعية للغة العربية :	٦٠٠٠
٦.	ثانيا ـ نماذج من أقوال خبراء الغرب عن اللغة العربية:	٦٠١٢
٧.	المبحث الثاني: الفصحى والتحديات	٦٠١٧
٨.	أولا: تحديات داخلية	٦٠١٧
٩.	ثانيا: تحديات خارجية:	٦٠٢١
١٠	ثالثا: تحديات المنافسة بين اللغات اليوم:	٦٠٢٤
١١	المبحث الثالث: آفاق	٦٠٣٠
١٢	أولا: الفصحى بين كسر التحدي ونصر التصدي	٦٠٣٠
١٣	ثانيا: بوارق الأمل في الساحة العربية عامة والشنقيطية خاصة	٦٠٣٣
١٤	نتائج وتساؤلات:	٦٠٤١
١٥	من المراجع:	٦٠٤٣
١٦	فهرس الموضوعات	٦٠٤٧

تم بحمد الله